مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2024 المجلد: 07 العدد: 02 ص.ص: 1554-1573

استدعاء الأندلس في الرواية العربية الحديثة

(رواية هاتف من الأندلس لعلي الجارم وسلّام لهاني نقشبندي أنموذجا)

Call up of Andalusia in the modern Arabic novel (The novel of 'Telephone' from Andalusia by Ali Eldjerem and Sellam by Hani Nakshabandi as a samples)

روابحي سعاد[1*]، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، rouabhisouad23@gmail.com

بوجمعة بوبعيو[2]، جامعة 20 اوت 1955 سكيكدة، الجزائر، hazmmm@live.fr

تاريخ إرسال المقال: 01-08-2024 تاريخ قبول المقال: 22-11-2024

الملخص:

شكلت الأندلس بتاريخها وحضارتها مصدر إبداع لدى الروائيين العرب فأعادوا بناءها سرديا عبر العديد من الأعمال الروائية، وقد تباينت وجهات نظرهم وأهداف وطرق توظيفهم لهذه التيمة الثقافية والفنية.

وهذا ما ستحاول الدراسة رصده من خلال هاتين الروايتين المختلفتين في الرؤية والهدف،كما أنهما متباعدتان من حيث تاريخ الصدور (هاتف من الأندلس-1949-وسلاّم -2008)، مما يؤكد التطور الدلالي والفني لهذا الموضوع، حيث استدعى الروائي علي الجارم الأندلس في فترة حرجة سياسيا (عصر ملوك الطوائف) قصد استلهام العبر واستنهاض الهمم في نفوس الشعوب العربية آنذاك، أما الروائي السعودي هاني نقشبندي فقد غرد بعيدا خارج السرب حين أعتبر العرب غزاة محتلين للأندلس ولم يكونوا أبدا فاتحين ناشرين للدين الإسلامي الحنيف.

الكلمات المفتاحية: الرواية التاريخية، الأندلس، علي الجارم، سلاّم هاني نقشبندي.

Abstract: Andalusia formed an innovative source through its history and civilization. In the field of the novel, the novelists repeated Andalusia time in narration through numerous imaginative works. They varied their views as well as objectives and ways of employing this artistic and cultural value. Hence, this study tries to call up Andalusia through the novels of 'Telephone' by Ali Eldjerem (1949) and Sellam by Hani Nakchabandi (2008). In his work, Eldjarem called up Andalusia in a sensitive political time (time of sects 'kings), aiming at inferring the lessons and stimulating ambitions in the Arab nation at that time. On the other hand, the novelist, Hani Nakshabandi , has a different perspective; he saw the Arabs as invaders in Andalusia and were never conquerors!

Key words : Historical novel; Andalusia; Ali Eldjerem; Sellam Hani Nakshabandi.

* روابحي سعاد.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2024 المجلد: 07 العدد: 02 ص.ص: 1554-1573

مقدمة:

حاولت الرواية التاريخية العربية منذ ظهورها في الساحة الأدبية أن تخلق لنفسها تميزا وان تحقق جماليتها على مستوى البناء والفكرة عبر استلهامها لسير العديد من الشخصيات والأحداث والمدن التاريخية، ولعل أهم محطة تاريخية استوقفت الروائيين هي "**الأندلس**" بمختلف حقبها التاريخية بدءا من الفتح الإسلامي مرورا بالاستقرار والازدهار الحضاري والعلمي وصولا إلى سقوط آخر ممالكها غرناطة الزاهرة، لان القضية لا تتعلق بموضوع روائي هدفه التشكيل الفني أو الجمالي لكن الموضوع يتعلق بحضارة تتعطل لغة الكلام في وصف محاسنها وعظمتها، فقد دون العرب حضارتهم هناك بالحبر والحجارة، ومازالت المآذن والنافوراتشاهدة على ذلك،أوكأن الأدباء لم يتقبلوا فكرة سقوطها بهذه السهولة واليسر فراحوا يوظفونها في متونهم الروائية متخذين من مدنها وشخصياتها ونصوصها عناوين لأعمالهم الأدبية، فتناولونها بشيء من الحنين والفخر تارة وبمشاعر الخيبة والانكسار طورا ولطالما شكلت معادلا موضوعيا لأحزانهم في زمن المحن والهزائم النفسية والسياسية، كما لم يتوان آخرون في جعلها صورة لإضاءة الحاضر تارة وأخذ العبرة تارة أخرى .

وقد كان استدعاءها ممنهجا وواعيا في الإبداع الروائي ومختلفا من حيث طرق وأهداف التوظيف، باختلاف آراء الروائيين ووجهات نظرهم حول هذا الموضوع.

وفي هذه الدراسة الموسومة بـ"**استدعاء الأندلس في الرواية العربية الحديثة(رواية هاتف من الأندلس لعلي الجارم وسلّام لهاني نقشبندي أنموذجا)**" سنحاول رصد أهم المحطات التي مرت بها الروايةالتاريخية التي استدعت الأندلس مع بيان أهداف وغاية هذا الاستدعاء وتوضيح اختلاف رؤى الروائيين الأنموذج .

وقد كان اختيارنا للروايتين اختيارا مقصودا الهدف منه تسليط الضوء على وجهة نظر الروائيين المتناقضتين –إن صح التعبير – كما أنهما متباعدتان من حيث تاريخ الصدور (هاتف من الأندلس–1949–وسلاّم –2008–) وفيه رصد لأهم التحولات الفنية والموضوعاتية لموضوع الأندلس في الرواية التاريخية العربية، وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي المستضيء بالمنهج التاريخي في تتبع حضور الأندلس في النتاج الروائي العربي وأهم التحولات الفنية والدلالية للموضوع منذ صدور أول رواية عن الأندلس إلى غاية انفتاحها على خطابات وإيديولوجيات متعددة.

فكيف بدت صورة الأندلس لدى الروائيين محل الدراسة ؟ ولماذا تم توظيفها ؟وكيف تم توظيفها؟ وماغاية كل روائي؟ وهذا ما سأحاول دراسته في هذه الورقة البحثية.

المبحث الأول: الرواية التاريخية:المفهوم والحدود

تعدد مفهوم الرواية التاريخية بتعدد وتنوع وجهات نظر الكتاب والنقاد لها، بل وهناك من النقاد من أنكر وجودها بالأساس واعتبرها ضمن الرواية الواقعية، على اعتبار أن الرواية شخوص وأمكنة وكذلك الرواية التاريخية، وقد حاول العديد من النقاد وضع تعريف دقيق لها إلا أن ذلك كان أمرا صعبا، ولذا فإن أغلب الآراء قد اتفقت على أنها عمل فني يتخذ من التاريخ مادة للسرد، لكنه لا ينقله بحرفيته بل يمتزج فيه خيال المبدع.

يعرفها جورج لوكاتش:بأنها رواية تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق[1]

بينما برى بيوكان أن الرواية التاريخية لابد أن تختص بفترة تاريخية محددة يعمل فيها الكاتب أدواته الفنيةلإعادة إظهار هذه الفترة إظهارا فنيا موحيا بعيدا عن سطو الوثائقية[2]

في حين يرى سعيد يقطين أن كل التعريفات والتحديدات التي تقدمها لنا المعاجم والدراسات المتخصصة حول الرواية التاريخية ...تكاد تتفق على كون الرواية التاريخية "عمل سردي يرمي إلى إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخييلية، حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلة [3]

والرواية التاريخية هي رواية تعتمد على الخيال كعنصر في بناء الحدث الروائي،فهي ذلك الجنس الأدبي الذي يستعمل حادثة تاريخية موثقة بشخوصها ومكانها وزمانها ويعيد صياغتها بشكل فني وخيالي.

المطلب الأول: نشأة الرواية التاريخية:

أولا:عند الغرب:

يعتبر النقاد الروائي الاسكتلندي **والتر سكوت** (1771–1832) مؤسس الرواية التاريخية الفنية بروايته" **ويفرلي**" التي صدرت عام1814، إذ قام بتصوير الأحداث والحقائق التاريخية بطريقة فنية شيقة لما للتاريخ من جمالية تثير شغف القاريء وتحثه على القراءة .

يقول لوكاتش "إن رواية سكوت التاريخية هي الاستمرار المباشر لرواية القرن الثامن عشر وهي إجمالا ليست عميقة جدا من الناحية النظرية ...إلا أن أعماله مقارنة مع أعمالهم ترمز إلى شيء جديد كليا [4].

وامتد تأثيره إلى الأدبين الفرنسي والروسي كإسكندر دوماس الأب الذي كتب عن الثورة الفرنسية وتولستوي الذي كتب روايته الشهيرة الحرب والسلام عام 1859 والتي تعد من أعظم الروايات التاريخية العالمية .

ثانيا: عند العرب:

لقد كان وراء ظهور الرواية التاريخية عند العرب عدة عوامل أهمها حركة الترجمة والاقتباس، فكانت في بداياتها محاكاة لأعمال رواد المدرسة الغربية كولترسكوت ودوماس وكان "لجهود أديب إسحاق ونجيب حداد وغيرهما في ترجمة المسرحيات التاريخية أثر كبير في بعث حركة القصص التاريخي[5]

ومثل جرجي زيدان (1861–1914) نقطة تحول وانطلاقة حقيقية في كتابة الرواية التاريخية، فاعتبرت بذلك تجربته تجربة مبكرة في توظيف الحدث التاريخي ودمجه بالعنصر الروائي وفق أسلوب مشوق وممتع حيث يعمد إلى مزج قصة غرامية إلى جانب الحدث التاريخي وإعمال الخيال في تقديم المادة التاريخية ،وقد اندرجت رواياته في إطار **النزعة التعليمية**،وتبعه بعد ذلك علي الجارم الذي قدم العديد من الروايات منها فارس بني حمدان، ، هاتف من الأندلس ، واعتبرت رواياته ضمن روايات **الصياغة والأسلوب** ليليه بعد ذلك محمد فريد أبو حديد ضمن مايعرف بالرواية التاريخية ذات **الاتجاه القومي والوطني** .

بعد ذلك ظهرت روايات نجيب محفوظ التاريخية التي جسدت جانبا من التاريخ الفرعوني في ثلاث روايات هي **عبث الأقدار**(1939)،**رادوبيس** (1943)،**وكفاح طيبة** (1944) وشكلت هذه الروايات الثلاثة تقدما ملحوظا في نهضة الرواية التاريخية العربية حيث وصفها النقاد بروايات **الجيل الثاني** .

وفي **الجيل الثالث** لجأت الرواية إلى الماضي عبر **رؤية إسقاطيه** يستثمر فيها التاريخ لغاية إبداعية وفكرية، وإيديولوجية ،وأشهر من مثل هذه المرحلة رضوى عاشور في روايتها ثلاثية غرناطة وجمال الغيطاني في رواية الزيني بركات وواسيني الأعرج في روايتيه: الأمير، البيت الأندلسي.

المطلب الثاني: الرواية التاريخية بين مطرقة التاريخ وسندان الإبداع :

لا تعنى الرواية التاريخية بتقديم الحادثة التاريخية كما يراها التاريخ لأنها من صفات المؤرخ، لكنها تحاول إعادة صياغته بطريقة فنية ووفق متخيل سردي، فالمادة التاريخية (الخام) هي الأساس التي تبنى عليه الأحداث الروائية وتدور في محوره، أما طريقة البناء والتشكيل فهي مهمة الروائي يتصرف فيها وفقا لرؤيته، وهنا تكمن براعة المبدع الذي يعيد ملأ الفراغات التي أغفل التاريخ ذكرها وكشف المسكوت عنه فيضيء الزوايا المعتمة منها، "فالروائي بقدرته على سد الثغور وتسليط الضوء على المفاصل الحرجة يستطيع أن يوسع من دائرة تحركاته على مساحة الرواية المعدة سلفا [6].

فالرواية تقول مالم يقله التاريخ الرسمي، لأن التاريخ يحدث مرة واحدة لكن يعاد كتابته أكثر من مرة من طرف الروائيين، لذلك نجد في الرواية التاريخية شخصيات حقيقية وشخصيات خيالية وأحداث حقيقية وأخرى مصطنعة .

لكن هل معنى هذا أن للروائي الحرية المطلقة في إعمال خياله وانتهاك قدسية التاريخ؟ وكيف يحدث التآلف بين الرواية والتاريخ ؟

أولا:الموازنة بين التاريخي والروائي :

يكاد يجزم كتاب الرواية التاريخية على أنها رواية لتاريخ مبتدع، وبالتالي فقد تعاملت مع التاريخ بطريقة لايمكن فيها إعادته حرفيا أو استنساخه وإنما اعادة بناء ضمن آليات مفتعلة، مستخدما خياله الفني على أن لاتكون على حساب التاريخ ومصداقيته، وهذا ماذهب إليه أنصار "**الأمانة التاريخية**" إذ يطالب الكاتب عبد الرحمن العشماوي بما يشبه "**التوثيق** "للأحداث التاريخية فيقول :إن من أهم المقاييس النقدية العامة للرواية التاريخية وجوب مراعاة صحة الحدث التاريخي، بحيث تسلم أحداث التاريخ من التحريف والتغيير في أصل رواياتها أو مدلولها [7]

ويقف جورج لوكاتش الموقف نفسه إذ يفرض الصدق والموضوعية في نقل الحدث التاريخي فيقول:يجب أن تكون الرواية أمينة للتاريخ بالرغم من بطلها المبتدع [8]

فالروائي بإعماله لخياله يقوم بموازنة ماهو تاريخي وآخر خيالي، حيث لايستسلم لرتابة السرد التاريخي فتفقد الرواية طابعها الفني المشوق بل عليه أن يجعل من الأحداث التاريخية مؤازرة لخياله وأن يوازن بينهما، وعليه أن يتحمل مسؤولية المبدع والمؤرخ في آن واحد "لابد أن يوازن الروائي بين المتخيل والتاريخ إذ هو يسعى أن يكون روائيا ومؤرخا في نفس الوقت حتى يتمكن من إيصال الغاية المقصودة من هذه الرسالة [9]، حيث ينطلق الروائي من حيث انتهى إليه المؤرخ لكي يصوغ رؤيته الفنية ويقحم القارئ في دواليب الرواية،فيتداخل السرد الروائي مع الوقائع التاريخية حينها يصعب الفصل بينهما، وبالتالي يحقق مصالحة بين الصدق الفني والتاريخي .

ثانيا:آليات توظيف التاريخ في الرواية :

من أجل إحداث الموازنة بين التاريخ والرواية ، وقصد توظيف الشخصيات والأحداث التاريخية ودمجها في المتن الروائي لجأ الروائيون إلى عدة طرق فنية من أجل القضاء على النمطية السردية وإيهام القارئ وجعله جزءا من هذه المعادلة الفنية .

1-**بالنسبة للشخصيات** :تشكل الشخصية التاريخية معضلة كبيرة أمام الروائي، وتجنبا للمساءلة والوقوع في الأخطاء التاريخية عادة ماينسب الروائي "بطولة عمله الفني لشخصية متخيلة ويحول الشخصيات التاريخية إلى شخصيات ثانوية قلما تسهم في الحدث المباشر، أو يظهر دورها في انعكاسها على تصرفات الشخصيات المتخيلة[10] وهناك من الروائيين من يغفل دورها فلايعطيها مجالا للتحرك "وقد يأخذ الكاتب

الروائي من شخصية ما مشهورة أو مغمورة خيطا روائيا واضحا في حياتها وينسج من حولها بناء روائيا ينتمي إلى الواقع والعصر وتصبح الشخصية مجرد قناع يتكلم الروائي من خلاله عن قضايا عصره وأمته [11].

2-**توظيف الحدث** :فقد يضيف الروائي أحداثا يكون المؤرخ قد سكت عنها ويعيد تناولها من جوانب أخرى تختلف عن تلك المتناولة من طرف المؤرخ، فالخيال هو القادر على سد فراغات لم يذكرها التاريخ بناء على معطيات التاريخ نفسه، فينهل من التاريخ نتائجه ويكمل ماسكت عنه أو زيفه عبر إيجاد حدث تاريخي تضطلع فيه شخصيات غير تاريخية لتجسيد رؤيته الفلسفية أو الفكرية أو الأيديولوجية لاستخلاص العبر والنصح .

3-**توظيف النص التاريخي** : يكتفي الروائيون باستدعائهم **للنصوص التاريخية** في المتن الروائي إما بتصديرها في مقدمة الرواية أو الفصول (خارج السياق الروائي) أو بتماهيها مع النص الروائي أو الاستشهاد بالنص التاريخي دون تحريف أو تغيير (داخل السياق الروائي).

المبحث الثاني: استدعاء الأندلس في الإبداع العربي الحديث :

حظيت الأندلس باهتمام الروائيين والدارسين العرب باعتبارها خطابا متعدد الأبعاد وأيقونة ثقافية وحضارية، فاختلفت رؤيتهم إليها وتعددت أشكال وأهداف استحضارها كل حسب غايته ورؤيته سواء الفكرية أو الفلسفية أو الإيديولوجية كما أن التاريخ -رغم أحادية أحداثه-لايكتب مرة واحدة بل كل فئة تكتبه بطريقتها الخاصة وكذلك الأندلس "لأن الأديب لا يكتب بلغة التاريخ، وإنما بروحه وعبره مما يجعل مهمة الدراسة والتحليل تحتاج معرفة كافية ليس فقط بالحدث التاريخي الأندلسي وإنما أيضا بملابسات وأبعاد استخدامه على صعيد الإبداع [12]

فالأندلس -كحضور إبداعي- يتخللها نصان :نص مكتوب يعتمد على التاريخ وآخر كامن خلف النص المكتوب يفتح باب التأويل والقراءة لدى المتلقي .

المطلب الأول: تجليات الحضور الأندلسي في الخطاب الإبداعي العربي:

حاول الروائيون التوسل بهذه التيمة الثقافية والتاريخية فاتخذوا من مدن الأندلس وحواضرها الذاهبة مسرحا لأحداث رواياتهم كقرطبة وغرناطة وقصر الحمراء وغيرهم، وأسماء قادتها التاريخيين كطارق بن زياد وعبد الرحمن الداخل وأبي عبد الله الصغير وغيرهم وما قامت به هذه الشخصيات من دور -سواء بالسلب أو الإيجاب -في تغيير مجرى التاريخ الأندلسي، وكذا الأحداث التاريخية الهامة التي مرت بها الأندلس من الفتح إلى السقوط، فيما لم يتوان روائيون آخرون باستدعاء نصوص تاريخية أندلسية وجعلها تتناص مع متونهم الروائية .

أولا: استدعاء الحدث الأندلسي :

يشكل الحدث التاريخي مرجعية للحدث المتخيل، فيكون بمثابة القالب الذي يصب فيه الروائي أحداثه المتخيلة، ولعل أهم حدثين تاريخيين أندلسيين حظيا باهتمام الروائيين هما حدثا الفتح (فتح الأندلس)وحدث سقوطها بأيدي القشتاليين وماتبعه من أحداث مروعة بحق المسلمين الموريسكيين الذين لاقوا ويلات التقتيل والتعذيب والتشريد على يد محاكم التفتيش الصليبية .

ويعتبر حدث **الفتح** أقل تناولا من قبل الروائيين العرب حيث تعد رواية **فتح الأندلس** (1904)لجرجي زيدان أولى الروايات في هذا المجال، وقد مثلت أعماله باكورة الأعمال التاريخية التي وظف فيها الحدث الأندلسي وقدمه في قالب مشوق قصد تعليم الناشئة فكان غرضه **تعليمي** .

أما حدث **السقوط** أو أفول الحضارة الأندلسية فقد تعدد الروائيون الذين تناولوه، بتعدد أغراض وغايات وأشكال استدعائه، فكانت استعادة بناءه سرديا لغايات**إسقاطيه** أو **استذكارية** أو **استشرافية** لمزيد من التبصر بالحاضر والتعبير عن رؤيته له في ضوء الواقع .

فسقوط غرناطة وماتبعه من مآسي مست المسلمين الموريسكيين في دينهم ولغتهم ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم جريمة يندى لها جبين الإنسانية جمعاء ، جعلت الروائيين يستنفرون كل حسب رؤيته ومذهبه الاديولوجي أو الفكري حتى لاتتكرر المأساة الأندلسية، فهم يستدعون الأندلس لفهم الحاضر واستشراف المستقبل فكتب علي الجارم **هاتف من الأندلس** لاستدراك أخطاء الماضي وأخذ العبرة، وكتبت رضوى عاشور **ثلاثية غرناطة** تحذيرا من نتائج اتفاقيات السلام بينما تطرق **حسن أوريد** إلى محاكم التفتيش ومأساة الموريسكيين بعد سقوط غرناطة، في روايته **الموريسكي** للحديث عن أزمة الإنسان الموريسكي وامتدادها إلى إنسان العصر الحاضر "رواية الموريسكي رواية تشير للراهن الحاضر انطلاقا من ماض معين ...الرواية التي جعلت من مأساة الموريسكيين قانونا تاريخيا يمتد صداه تعاقبيا إلى الراهن " [13]هي أزمة الإنسان العربي في فلسطين وسوريا وكل المستضعفين في العالم .

ثانيا: توظيف الشخصية الأندلسية: شكلت الشخصية التاريخية بصفة عامة والأندلسية على وجه الخصوص أكثر المعضلات التي واجهت الروائيين في كتابة متونهم الروائية –كما ذكرنا سابقا–كونها شخصية معدة مسبقا وحاضرة في المراجع التاريخية وبالتالي لن يستطيعوا العبث بها أو تغيير تاريخيتها، فتم توظيفها الشخصية التاريخية الأندلسية لمعالجة قضايا راهنة وإسقاطها على الواقع المعيش، ولطالما كانت معادلا موضوعيا لإحزانهم وانكساراتهم الداخلية .

فاستحضر واسيني في روايته رمل الماية (فاجعة الليلة السابعة بعد الألف) شخصية عبد الله الصغير آخر ملوك الأندلس الذي حمله السرد مسؤولية ضياعها بسبب تواطئه مع الملكين الكاثولكيين فرناندو وايزابيلا

اللذان قادا حملة الإبادة والتهجير ضد مسلمي غرناطة محاولا إسقاط هذه الشخصية على الحاضر ليؤكد أن الحاكم الجديد ماهو إلا صورة مصغرة عن الحاكم القديم وان التاريخ يعيد نفسه.

وكتب الروائي **بن سالم حميش** عن محنة المثقف العربي والسلطة في **هذا الأندلسي** من خلال شخصية الصوفي الأندلسي **ابن سبعين** وما واجهه من صعاب في رحلة تنقله المضنية حين كان معارضا للسلطة آنذاك،فلاقى المضايقات والمطاردات من طرف الحكام وحتى من المشايخ أنفسهم عندما رفض مجاراتهم في طرحهم الفكري والفقهي .

فتوظيف الروائيين للشخصيات التي اختارت المواجهة والتحدي والنضال ضد السلطة الهدف إسقاط تاريخ هؤلاء الثوريين على الحاضر الذي هو أحوج مايكون إلى شخصيات ثورية تواجه الظلم وتقف بوجه الظالمين [14].

ثالثا: توظيف النص الأندلسي :

كما حاول روائيون آخرون جعل النصوص الأندلسية تتناص مع سردهم الروائي عبر الاعتماد على عدة تقنيات فنية فمنهم من حاول تصدير رواياته بنصوص تاريخية أندلسية أو أبيات من الشعر الأندلسي تضمينها في السرد الروائي، أو الاستشهاد بنصوص أندلسية في المتن، أو عبر تحوير النص واستبداله لجعله مناسبا لفكرته حيث انتقلالنص من الخطاب التاريخي النفعي إلى الخطاب الروائي الجمالي لينفتح على عدة دلالات وتأويلات يتحكم فيها النسق السردي العام .

المطلب الثاني: التطور الفني والدلالي للحضور الأندلسي في الرواية العربية

إنه من الصعب تقسيم الروايات التي استحضرت الأندلس تحت عناوين جامعة، كما أنه لايمكننا ترتيبها ترتيبا كرونولوجيا لأنه هناك روايات كثيرة رصدت تاريخ الأندلس وحضارتها بأزمنة متقاربة حينا ومتباعدة أحيانا أخرى مما يبرر الزخم الكبير لكتاب الرواية الأندلسية، لأن القضية لاتتعلق بموضوع روائي هدفه التشكيل اللغوي أو الجمالي لكنها تتعلق بمكون رئيس من مكونات تراثنا الذي تحدى الزمن، وحضارة أمة عمرت أكثر من ثمانية قرون ثم تساقطت مدنها كتساقط أوراق الخريف .

كما أن الرواية التاريخية "لم تظهر في مرحلة معينة من تاريخ الرواية ثم اختفت بعد ذلك، بل رافقت تاريخ الرواية العربية منذ النشأة الأولى حتى أيامنا هذه وتطورت بتطور الأحداث وتغير الذوق الجمالي[15]

وقد مرت الرواية التاريخية التي استدعت الأندلس بعدة تطورات فنية ودلالية شأنها شان الرواية التاريخية العربية،ولايسعنا المقام برصد كل تطوراتها بل سوف نمر بعجالة على أهم المحطات التي رافقت

حضورها في الإبداع العربي منذ صدور أول رواية وهي رواية **فتح الأندلس(1904)** لجرجي زيدان إلى روايات القرن الحالي التي اتخذت من التجريب أسلوبا لكتابة الرواية .

أولا: روايات التعليم والحنين إلى الفردوس المفقود :

فمع البدايات الأولى كان هذا الاستدعاء لغرض **تعليم ونشر التاريخ الإسلامي** لتمكين الناشئة من معرفة تاريخهم حيث كانت الأندلس قوة دافعة للشعور القومي، بالإضافة إلى تعليم الصياغة اللغوية، وأبرز من مثل هذه المرحلة جرجي زيدان في ثلاث روايات هي فتح الأندلس أو طارق بن زياد، عبد الرحمن الناصر(1909)،شارل وعبد الرحمن التي تتحدث عن الفتح الأندلسي، وكتب علي الجارم روايته هاتف من الأندلس وكلها روايات **تعبر عن الحنين إلى الفردوس المفقود** أو إلى زمن العظمة التاريخية،حيث مثل النص الأندلسي الترياق الذي تلتئم به الجروح العربية آنذاك .

ثانيا:روايات الإسقاط التاريخي:

وهي الروايات التي اقتحمت عقبة التجريب عبر وإسقاط أحداث الأندلس على الحاضر فالحديث عن الماضي هو احتجاج على الحاضر ضمن رؤية فكرية أو فلسفية لغاية يسعى وراءها، وابرز من مثلها رضوى عاشور في روايتها ثلاثية غرناطة(1993) وواسيني الأعرج في روايته رمل الماية أو فاجعة الليلة السابعة بعد الألف (1993).

ثالثا:الأندلس وأسئلة الراهن:

حين تصبح الأندلس حلما نسعى لتحقيقه أو فكرة نسعى لتجسيدها وسعيا وراء تقديم رؤية جديدة للواقع نفسه كرواية رحلة الغرناطي لربيع جابر(2002) وسلام لهاني نقشبندي(2008).

رابعا:الأندلس والأدب التفاعلي:

الأدب التفاعلي هو الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة من اجل تقديم جنس أدبي جديد، ويطلق عليه أيضا بالأدب الرقمي، أو هو "ذلك الأدب السردي أو الشعري أو الدرامي الذي يستخدم الإعلاميات في الكتابة والإبداع، أي يستعين بالحاسوب أو الجهاز الإعلامي من أجل كتابة نص أو مؤلف إبداعي[16]

وأول من أدخل موضوع الأندلس في هذا النوع من الأدب –حسب اعتقادي – هو الروائي العراقي جابر خليفة في روايته "**مخيم المواركة** "(2003)، هي رواية تعدد فيها الرواة، تحكي الرواية التي كتبها أحد الموريسكين يدعى عمار اشبيليو وأرسلها كاملة عبر البريد الالكتروني لعمار اشبيليو أخر والتي تقوم على فكرة اتفاق مجموعة من الشباب الموريسكيين على إقامة مخيم لإحياء التراث الأندلسي متنقلين بين المدن

الأندلسية مستذكرين حادثة يشارك الجميع في كتابتها سواء كان هذا الاستذكار شعرا أو رسما أو موسيقى أو قصة، وقد اعتمد فيها الروائي على تقنية تشظي الزمن، بحيث لاترد الأحداث حسب تسلسلها الزمني فتتراوح بين الماضي –أحداث تشريد الموريسكيين وطردهم – والحاضر حيث المخيم المتنقل بين مدن الأندلس كتعبير عن حالة الطرد التي كان يتعرض لها الموريسكيون ليصلوا في الأخير إلى نهر الشنيل حيث كان البحر آخر محطة لهم في رحلة الطرد النهائية .

المبحث الثالث:الأندلس بين علي الجارم وهاني نقشبندي:الرؤية والتشكيل

لابد أن أي كاتب مبدع في عملية كتابته الأدبية يستند إلى مرجعيات فكرية أو ثقافية أو دينية أو تاريخية من أجل خلق نص إبداعي مغاير،وقد اختارا الروائيان الأنموذج الأندلس كمرجع تاريخي لعملهما الفني وفق رؤية مختلفة وتشكيل فني مختلف، ونظرا لتقيدنا بحجم البحث فسوف نتطرق باختصار إلى أهم العناصر المكونة للبناء الفني في الروايتين مع التركيز على رؤية الروائيين المختلفتين في الطرح .

فكيف بدت الأندلس –كحضارة وتاريخ –للروائيين ؟ وكيف وظف الروائيان هذه التقنيات اللغوية والفنية للتعبير عن رؤيتهما ؟

المطلب الأول:على الجارم وفكرة الفردوس المفقود:

يعتبر الروائي علي الجارم أحد الروائيين المتميزين في الكتابة التاريخية، حيث كتب العديد من الروايات التاريخية التي تصور حياة شخصيات تاريخية أثرت في تاريخ العرب وخاصة الأندلسي منه،فكتب رواية شاعر ملك التي تحكي قصة ملك الأندلس المعتمد بن عباد ملك اشبيلية الذي أضاع ملكه بسبب انغماسه في اللهو والمجون وتعاونه مع ملكقشتالة الفونسو السادس ضد أبناء جلدته، فكانت نهايته من أسوأ النهايات على يد يوسف بن تاشفين الذي أخذه أسيرا إلى سجن أغمات بالمغرب وفيه قضى بقية حياته .

أولا: الرؤية والطرح .

وفي رواية هاتف من الأندلس (موضوع دراستنا) – صدرت عام 1949– التي دارت أحداثها في مدينة قرطبة في عهد أبي الحزم بن جهور التي يصور فيها حياة الشاعر الوزير ابن زيدون وأهم المحطات التاريخية والأدبية له، إذ استطاع الحصول على منصب الوزارة والظفر بقلب ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الأموي الشاعرة الأندلسية من بيت الخلافة، رغم كيد الكائدين والمؤامرات والدسائس التي وصلت إلى حد سجنه، كما يصور أيضا واقع الأندلس ومظاهر الحضارة المزدهرة فيها .

فالروائي استدعى الأندلس في أوج حضارتها ومجدها الفكري والاقتصادي عبر حاضرتها قرطبة المدينة الجميلة الجليلة وشاعرها الوزير ابن زيدون من جهة، وفي فترة حرجة من فترات الحكم الإسلامي في

الأندلس (عصر ملوك الطوائف) فجمع في روايته بين صورتين :صورة الأندلس (مدينة قرطبة)بعظمتها وتاريخها وصورة أخرى هي صورة "أندلس الطوائف المغلوب عن أمره في ظل أشباه حكام حركتهم أيد خفية من الخارج [17]، حيث الحنين إلى زمن العزة التاريخية والعصر الذهبي للأمة الإسلامية، قصد قراءة التاريخ واستلهام العبر

واستنهاض الهمم وبعث التفاؤل والأمل في نفوس الشعوب العربية والاستفادة من دروس الماضي.

وما يؤكد هذا الطرح أو هذه الرؤية ما دار في مجلس ولادة الأدبي، حين يسرد الروائي على لسان ابن زيدون بعض الأحداث التي وقعت خلال فترة الحكم الإسلامي في الأندلس فيقول في حسرة تنم عن موعظة لأخذ العبرة:"لقد ضاعت الأندلس، ...وانفصمت تلك العروة العربية التي جمعت الآراء على رأي...فأصبح العرب بعد انحلالهم على هذه الجزيرة النائية بددا كالشياه فتك الذئاب برعاتها ... لن أذكر طارقا، فان إقدامه ودهاءه أصبحا مضرب الأمثال ولا تزال الإفرنجة حولنا تروي حديث وثوبه على الأندلس وقلوبهم ترتجف فزعا ... أين أيام عبد الرحمن الداخل ؟ذلك الفتى الشمري الأحوذي الذي قدم الأندلس وحيدا، فلم تمر به سنة حتى كانت جميعها في قبضته، وأين منا عهد الناصر لدين الله ...حين كان ملوك الفرنجة يستجدون رضاه وستسابقون إلى طاعته ؟بعث إليه صاحب القسطنطينية العظمى سفراءه ومعهم أشرف الهدايا وأنبلها، فتلقتهم قرطبة في يوم مشهود،وأقبلوا في خضوع نحو قصر الحمراء يقدمون للناصر إخلاص سيدهم وصادق مودته، وأين منا أيام ابنه الحكم المستنصر بالله حين أعتزم غزو بلاد الملك أردون؟ ذعر الملك فسار إلى الحكم في عشرين رجلا من أصحابه راجيا منه أمانا واعتصاما بذمته...هكذا كانت صولتنا وهكذا كان سلطاننا، فأين منا ذلك المجد الضائع [18]

وهكذا فان هذه الرواية استطاعت تجسيد رؤية واقعية لما حدث آنذاك في الوطن العربي حيث النكبة الفلسطينية الثانية (1948) حين استولى اليهود على فلسطين،وتشتت شمل العرب بين مندد ومحايد، فكان العمل بمثابة الصيحة التي أرادها الروائي لإيقاظ الضمائر، فكان أن " استخدم الأندلس للدفاع عن القومية العربية فجعل الماضي في خدمة الحاضر مما استوجب النظر إلى التاريخ نظرة تقديس وإجلال والحفاظ على أحداث الماضي وعدم العبث بهما[19]، وحتى لا يحدث لفلسطين وبقية البلدان العربية ما حدث للأندلس بالأمس، فقد أخذ الروائي من التاريخ مايتواءم مع حالتة الشعورية وواقع أمته دون خلخلة أو تحوير شأنه شان روائيي تلك المرحلة " أي أن الغاية التربوية كانت وراء اهتمام الكاتب بالفكرة التاريخية أكثر من اهتمامه بالحركة الروائية [20]

ثانيا:التشكيل الفني للرواية:

أما من الناحية الفنية فقد اعتمد الروائي شكل الكتابة في الرواية التقليدية في نقل الأحداث والحبكة والتشويق والشخصيات حيث اعتمد بناءه الفني على تنامي الأحداث بشكل تصاعدي دون تشظي أو تكسير، وان اعتمد في بعض الأحيان على تقنية الاسترجاع، حين يستطرد في بعض الكلام للضرورة الفنية، مبديا اهتمامه الكبير في اختيار ألفاظه في السرد أو الحوار، بالإضافة إلى تضمينه للشعر، ومرد ذلك الاهتمام أنه ينتمي إلى مدرسة البيان التي تهتم بالصياغة الأسلوبية وكونه قد جمع بين الشعر والرواية فهو شاعر وروائي في آن واحد، كما اشتهر بغيرته الزائدة عن اللغة العربية .

أما الشخصيات فقد استدعى الروائي شخصيات تاريخية وأخرى متخيلة، فالتاريخية تمثلت في شخصية ابن زيدون الشاعر الوزير، وولادة بنت المستكفي الأميرة الشاعرة وقصة حبهما التي حوتها كتب التاريخ والأدب، بالإضافة إلى أسماء لشعراء بارزين في تلك الفترة تمت الإشارة إليهم في معرض الحديث عن مجالس الشعر وإلقائه .

بينما الشخصيات المتخيلة والتي كانت المحرك الرئيس للقص هي شخصية عائشة بنت غالب الجاسوسة ذات الأصل الاسباني ونائلة الدمشقية التي لعبت دور الناصح والمرشد للحبيبين كونها عجوز لاتحجب دونها أسرار القصور كما يقول .

وقد بدت شخصية ابن زيدون شخصية مسطحة شأنه شأن شخصية ولادة، تم تقديمهما من طرف الروائي بالاعتماد على ذكر الأبعاد الجسمانية والاجتماعية لهما فيقول :"...ذلك الفتى هو أحمد أبو الوليد بن زيدون أديب الأندلس وشاعرها، وهو شاب مؤتلف الشباب، ناضر العود، معتدل القامة، وسيم الوجه، عربي الملامح والشمائل، حاجبان إذا اقتربا عرفت فيهما التصميم والعناد وقوة الشكيمة ...وأنف أشم يدل على الكبرياء والثقة بالنفس، وفم مفوه خلق ليكون خطيبا "[21]

ثم يواصل علي الجارم في تقديمه للشخصية مبرزا مكانته الاجتماعية "وابن زيدون من بيت علم وأدب وثراء ونعمة كان أبوه من كبار قضاة قرطبة، رفيع المنزلة عزيز الجانب، فنشا الفتى كما ينشأ أبناء المترفين ناعم العيش مدللا يتقلب في النعيم، ولكن ميوله الفطرية، ومواهبه الموروثة كانت تختطف من فراغه ساعات لدراسة الأدب وفنون اللغة ..."[22]

ويقول في تقديمه لشخصية ولادة بنت المستكفي:"وكانت ولادة في الثامنة عشرة، رائعة الطلعة، فاتنة مباهر الحسن وجه لم تشرق الشمس على أنضر منه ولا أصبح، وقسمات تتأنق في صنعها الجمال ...وولادة –إلى كل هذا أديبة شاعرة يغشى ندوتها كبار الأدباء والشعراء ... ."[23]

ومهما يكن من أمر" فإن لجوء الكاتب إلى الوصف الخارجي أو التسطيح في رسمها لم يكن نابعا عن عجز أو تقصير بقدر ما كان فهما شائعا للفن الروائي في زمانه وعند الرواد من أمثاله[24]

كما أن الشخصيات التاريخية هي شخصيات مكتملة النمو لاتحيل إلا إلى ذاتها ولا تتطور بتطور الأحداث فمصيرها قد حسمه التاريخ قبل مئات السنين .

وفي مجال الوصف نلاحظ أن الروائي أسهب كثيرا في وصف قرطبة وصفا ينم عن إعجابه الشديد وتقديسه لماضي الأندلس فيقول :هذه قرطبة في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، تراها صفحة عجزت الخطوب عن محو سطورها ودوحة لم تعبث الأعاصير إلا ببعض غصونها ...تزدان بالقصور السامقة والمساجد الفسيحة ومساجد العلم الزاخرة بالطلاب ...وحولها من الأرباض مايجاوز العشرين عدا، بكل ربض مايقوم بأهله كأنه مدينة قائمة بذاتها، أما الحدائق والمروج التي تحيط بها فلن تجد لها فيما سجله التاريخ في ألواحه مثيلا، وكان القرطبيون يسمون هذه الحدائق بالمنى:فهناك منية الرصافة، ومنية الزبير،والمنية المصحفية ومنية عجب وكانت هذه المنى ملاعب لهو الأندلسيون ومسرح صباباتهم، فلقد كانت قرطبة مدينة العلم والزهد والتصوف، كما كانت مدينة اللهو والعبث والمجون .[25]

وعلى العموم فإن الروائي علي الجارم قد لعب دورا رائدا في تقديم تاريخ الأندلس بتركيزه على الجانب المضيء من تاريخها دون تحريف أو تزييف هدفه التعريف بعظمة الحضارة الأندلسية ولأخذ الدروس والعبر.

المطلب الثاني:هاني نقشبندي:وهم الحضارة أم حضارة الوهم

رواية **سلّام** أو الرواية التي أثارت الكثير من الجدل بين النقاد وأسالت الكثير من الحبر وسط القراء والمثقفين، حين غرد صاحبها بعيدا خارج السرب في طرحه الجريء والرائد في الكتابة عن الأندلس تاريخا وحضارة، حيث أعتبر العرب غزاة محتلين للأندلس ولم يكونوا أبدا فاتحين ناشرين للدين الإسلامي الحنيف طارحا بذلك رؤية وفكرا مختلفا عن القراءة الرسمية لتاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، وناسفا فكرة الفردوس المفقود ومرثيتنا للزمن الجميل .

تحكي الرواية قصة أمير سعودي قام بزيارة قصر الحمراء في رحلة استجمام فأعجب به أشد الإعجاب، فقرر بناء حمراء جديدة بالرياض، وبعد استشارة مساعديه بدأ في تجهيزات البناء، لكن شيخا مغربيا يدعى ابن برجان نصحه بعدم القيام بذلك حتى لاتلحقه اللعنة، غير أن الأمير لم يأبه لكلام الشيخ في البداية فواصل مشروعه، وبعد مدة أصبحت الأحلام والرؤى المتكررة والمزعجة تقض مضجعه وتطارده أينما حل، فطلب النصح من الشيخ الذي أرشده لشخص يدعى سلاّم فهو الوحيد الذي باستطاعته إبعاد هذه اللعنة، لأنه يحمل أسرار قصر الحمراء، وبعد بحث مضن وشاق عثرا عليه، لكنه خيب أمل الأمير

حينما طلب منه التخلي عن الفكرة، لأن إعادة بناء الحمراء هي إعادة لتجديد الصراع مع الآخر المسيحي وهنا تكمن لعنته ودار بينهما حوار جدلي طويل وسجال حاد حول الأندلس وحضارتها وقصر الحمراء وخطبة طارق بن زياد وغيرهم من زاوية مغايرة ورؤية تخالف النظرة التقديسية لتاريخنا في تلك البلاد، بدءا من الفتح والانجازات الحضارية لعرب الأندلس وصولا لأسباب السقوط، لتنتهي الرواية نهاية مفتوحة تفتح باب التأويل والقراءة أمام المتلقي .

أولا: رؤية تاريخية أم محاكمة عقلية للتاريخ

يقول الروائي في استهلاله :

"**قصر الحمراء هو أجمل قصيدة في أسبانيا** "

عبد الوهاب البياتي /شاعر عراقي

"**قصر الحمراء هو انعكاس صادق للتعايش الإسلامي المسيحي اليهودي في الأندلس** "

سعيد أفندي /مدرس تاريخ عربي

"**إنه رمز حقيقي لعظمة تاريخنا** "

سعيد أفندي آخر

"**إنهم يكذبون .....**"

سلّام [26]

و"لأن وظيفة الاستهلال جلب انتباه القارئ أو السامع وشده إلى الموضوع، لأن بضياع الانتباه تضيع الغاية، بالإضافة إلى التلميح بأيسر القول عما يحتويه النص [27]، وهذا ما أراد الروائي إيصاله منذ البداية، بجواب يستفز فيهالقاريءجاء على لسان بطل الرواية سلام "**إنهم يكذبون**" كلام يثير دهشة المتلقي ويسعى إلى خلخلة المقدس من تاريخنا في ذهنه، في إشارة منه بضرورة إعادة قراءة لتاريخ التواجد العربي الإسلامي في الأندلس، إذن فقد حملت الرواية رسالتها منذ مستهلها .

من أجل هذا الغرض لجأ الروائي إلى هذا التقديم حول موضوع النص الرئيسي ثم عمد إلى إثبات ذلك في متن الرواية .

ويواصل الروائي إدانته لهذا التاريخ عبر السرد وفي الحوارات التي دارت بين شخوص الرواية من خلال التشكيك في خطبة طارق بن زياد واستعماله لمعجم جديد لم يألفه القارئ العربي في الكتابة عن الأندلس فيقول

أردت أن أسأل الشيخ عن صخرة طارق بن زياد التي وقف عليها يوم خطبته الشهيرة وأحرق السفن،هل صحيح أن أثاره على الصخرة لاتزال موجودة ؟

مال ابن برجان إلى الوراء وقال :لم تكن هناك من خطبة، وإحراق السفن قصة وهمية، وبعد لحظة صمت كمن يسترجع شيئا من الذاكرة أضاف تتداخل في تاريخنا الأسطورة بالحقيقة، لم يكن طارق عربيا ليلقي خطبة بالفصحى وإنما هو بربري، كما أن السفن التي انتقل بها إلى الأندلس لم تكن سفنه بل استعارها من حاكم القوط [28]

وفي موضع آخر من الحوار يصف الفتح الإسلامي بالاحتلال فيقول:

الصراع بين الأديان أقدم من عمر الأندلس أيها الشيخ ؟

– صدقت أيها الشاب ...فعمر الصراع أقدم لكنه في الأندلس كان النموذج الأسوأ لهذا الصراع، نحن باحتلال الأندلس لم نوقظ مارد المسيحية لنقاتله في اسبانيا فقط، بل في أوربا كلها، حتى الحروب الصليبية ماكان لها أن تكون لولا الأندلس .

–عفوك أيها الشيخ :قال الأمير وقد علته ملامح استنكار وغضب :أتقول احتلالنا للأندلس

وهل كنا غير فاتحين ؟

–فاتحون ...؟تساءل سلّام في سخرية

–نعم ...فاتحون فلم السخرية ؟

لو كنا كما تقول لنشرنا إسلاما يبقى حتى اليوم في الأندلس، لا أن نطرد مثل كلاب ضالة .

ويواصل الشيخ كلامه مبررا وجهة نظره في ظل وجوم واستنكار الشاب فيقول:

تسع مائة عام ...ثم ماذا ؟طردنا، أتعرف لماذا طردنا أيها الشاب ؟لأننا باسم الله قتلنا الرجل وسبينا المرأة، لم ننشر ما جئنا من أجله، ولأننا فقدنا المبرر الأخلاقي لوجودنا هناك فقد تحولنا من فاتحين إلى محتلين، فكيف نبكي اليوم على أرض عادت لأصحابها[29]

وهو بطرحه الجريء هذا يكون قد قدم رؤية مختلفة عن القراءة الرسمية القائمة عن النوستالجيا والحنين إلى زمن الفردوس المفقود وإنما قراءة فيها الغوص إلى أعماق التاريخ وإعادة النظر في أحداثه .

فسلام القادم من غياهب التاريخ يعود إلى الواجهة، لا بوصفه مادة منتهية وجامدة بل باعتباره ممارسة فكرية وايديولوجيةتجسدت من خلاله الأندلس **كفكرة** عن تاريخ استباح الروائي قدسيته لينزله من عرش التقديس إلى كرسي الاعتراف عبر تعريته ومحاول محاكمته من خلال التشكيك في صحة أحداثه.

والروائي من خلال اختياره لشخصية سلام يريد تمرير خطاب ايديولوجي ترسم رؤيته للحاضر، كما تجسد موقفه الخاص من التاريخ، فهو يعيد تشكيل رؤية تاريخية بديلة عن رؤيا النوستالجيا والحنين إلى الفردوس المفقود ورغبة منه في إيجاد اللحظة الروائية المناسبة لتكون بديلا عن لحظات التقديس الوثني المتعلق بحضارة الأندلس وتاريخها .

ثانيا:البناء الفني للرواية

وإذا نظرنا إلى هيكلة الرواية فنيا ومن خلال عناصر تشكيلها بدءا بالمكان فإنها رواية احتفت بالمكان "رواية مكان بامتياز" تقوم على فكرة بناء قصر الحمراء بما حوى ويحوي من أسرار، إيجاد مناخ تاريخي تضطلع فيه شخصيات غير تاريخية لتجسيد رؤية إيديولوجية لاستخلاص العبر والوقائع .

رواية "فانتازيا المكان " تعيد للذاكرة نلك المناظر الرائعة من القصر بوصف يكاد القارئ يتخيل نفسه يجول أرجاء القصر ويسمع خرير الماء من بركة السباع وقصر العريف، فتبدو دلالة المكان هنا واضحة ذات صلة وثيقة بواقع الأمة .

أما الشخصيات فقد استعان الروائي بأربعة شخوص شكلت بطولة النص (الأمير السعودي، رماح رفيق الأمير ومستشاره ابن برجان الشيخ المغربي ذو الأصول الموريسكية وسلام حامل أسرار قصر الحمراء) وقد حملت أسماءهم دلالات رمزية .

فعبد الرحمن يحمل أكثر من دلالة تاريخية (عبد الرحمن الداخل، عبد الرحمن الناصر) .

اقترب الكهل من وجه الأمير :

–آه.. "وأي عبد الرحمن تريد أن تكون للأندلس ؟ هه..؟

كان هناك عبد الرحمن الداخل، ثم الناصر، فأي عبد الرحمن تريد أن تكون ؟ [30]

وسلّام الشخصية الأقرب إلى الأسطورة والتي تشير إلى السلام الذي ينشده الروائي من خلال نبذ التعصب وفتح حوار التسامح بين الأديان "قبل إن نبني الحمراء مع أخرى علينا أن نطهر أنفسنا، حان للمعركة أن تنتهي، لن ننتصر على أحد، لن ينتصر أحد على أحد، لأنه لايمكن إن نحيا دون آخر نستمد منه بقاءنا، الأشجار الكثيرة هي ما يصنع حديقة جميلة، وكذلك الأديان، كلها يقربنا إلى الله، وكلها يصنع أنسانا صالحا وحديقة جميلة [31].

وقد كتبت الرواية بلغة بسيطةبين شخصياتها، لكنها في أحيان أخرى تكون موحية وعميقة ومحملة بالإشارات والرموز إذا تعلق الأمر بالحوار بين سلام والأمير أو بين الأمير وابن برجان.

كما تم توظيف الحدث الأندلسي بمنظور مخالف وبرؤية جديدة هو التشكيك في تاريخيته وصحته كخطبة طارق بن زياد وحقيقة التواجد العربي هناك وحقيقة الفتح الذي تجده في الرواية فاقدا لمبرره الأخلاقي "لم نخبر أحدا عن الإسلام لأننا لم ندخل الأندلس بهدف الإسلام، بل لنحتلها،ماعملناه في الأندلس كان احتلالا عربيا بربريا فرضته الصدفة لا نية الفتح [32]

فهي رواية تطرح رؤية مختلفة للأحداث التاريخية وتصحح بعض المفاهيم التي وقرت في اللاوعي الجمعي العربي من خلال بنية سردية أراد مؤلفها استفزاز مشاعر القراء عندما أدخل معجما جديدا ضمن

أبجديات القراءة العربية لتاريخ الأندلس حينما حول" **الفتح الإسلامي**" إلى "**غزو أو احتلال** " وقصر الحمراء من **رمز للعظمة والحنين** إلى **وصمة عار** ورمز لتجدد الصدام والصراع بين الدين الإسلامي والمسيحية، "الحمراء ..هو تاريخ مخز،ليس أكثر من رمز لا أخلاق فيه، الملايين قتلوا باسم الإسلام تاريخنا الأندلسي ليس أكثر من ملحمة عار ..هل تريد أن نجسد هذا العار مرة أخرى أيها الشاب ؟[33]

هي إذن رواية مشحونة بالخرافات والكوابيس والغموض، رواية ذات طابع حاول قراءة الراهن العربي قراءة تاريخية مغايرة تعيد فهم الحاضر ضمن أحداث الماضي، ومن اجل مساءلة الحاضر واستشراف المستقبل، أنه السجال بين الحاضر والماضي وبين الأنا والآخر .

خاتمة:

مما تقدم ذكره في هذا البحث الموجز جدا حول حضور الأندلس في الرواية العربية،ومن خلال الروايتين الأنموذج يمكن أن نقول أننا توصلنا إلى جملة من النتائج حول هذا الموضوع نوجزها في مايلي:

-استدعى الروائيون العرب الأندلس بطرق ورؤى ودوافع متباينة عبر العديد من أعمالهم الفنية .

-أعاد النص الروائي كتابة التاريخ الأندلسي، إلا أن هذه الإعادة لم تكن حرفية أو استنساخا بل كانت لهدف تعليمي أو إسقاطا للواقع أواستشرافا للمستقبل .

-ظل علي الجارم وفيا للتاريخ في سرده للأحداث لأن هدفه تعليمي المقصود منه تقديم الدروس والعبر من التاريخ، فلعب دورا في تقديم التاريخ العربي الإسلامي من وجهة نظر إسلامية صافية دون تزييف أو تحريف للحقائق .

-جعل الروائي علي الجارم مسرح أحداثه مدينة قرطبة الجليلة، مدينة العلم والزهد والتصوف بحقبتها المضيئة من تاريخ الحكم الإسلامي في الأندلس هي فترة حكم أبي الحزم بن جهور (433هـ) حيث جمع إلى جانب صورة العزة والمجد صورا أخرى من الهزيمة والقهر.

-أسقطت رواية **هاتف من الأندلس** أحداث الأندلس وتفككه على التجربة المعاصرة حيث يصبح التاريخ قناعا وخادما للفن ووسيلة للتحديق في قضايا العصر الحاضر، ورغبة منه في استيعاب ونقل الدرس التاريخي إلى الجيل الجديد ليعي أبعاده ومراميه.

-استدعى علي الجارم الأندلس للدفاع عن القومية العربية فجعل الماضي في خدمة الحاضر .

-طرحت رواية سلام رؤية نقدية جريئة وجديدة حين حاولت النفاذ إلى عمق التاريخ الأندلسي لتنزع عنه تلك القدسية عبر التشكيك في تاريخيته وصحة إحداثه .

-حاول الروائي نقشبندي استفزاز مشاعر قراءه عبر توظيفه لمعجم جديد عن الأندلس لم يألفه القارئ العربي كقول الرواية بالغزو والاحتلال بدل الفتح الإسلامي،وان قصر الحمراء وصمة عار ولم تكن أبدا رمزا للمجد والعزة .

-استدعى نقشبندي الأندلس كفكرة عبر شخصية سلام العائد من غيابات التاريخ لخلخلة الثابت في اللاوعي الجمعي العربي حول الحضارة الأندلسية ومجدها .

-رواية سلام، رواية مستقبلية استشرافية يحذر مؤلفها من تكرار الصدام مع الآخر المسيحي ويدعو إلى التسامح الحضاري والديني .

-دعا الروائي هاني نقشبندي إلى إعادة قراءة التاريخ العربي في الأندلس بغية اكتشاف المزيف فيه من الصحيح في طرح إيديولوجي جريء وجديد.

الهوامش

[1] جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، ترجمة صالح جواد كاطم، دار الطليعة، بيروت، 1978،ص79

[2] نضال الشمالي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد الأردن، ط1،2006،ص113،114

[3] سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، الحدود والوجود، الدار العربية الجديدة، الحدود والوجود، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط1، 2012،ص159.

[4] المرجع نفسه، ص29

[5] نواف أبو ساري، الرواية التاريخية مولدها وأثرها في الوعي القومي العربي العام -رواد وروايات -دراسة تحليلية تطبيقية نقدية دار بهاء الدين للنشر والتوزيع قسنطينة، 2004،ص، ص26

[6] نضال الشمالي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، ص 128

[7] عبد الرحمن العشماوي، وقفة مع جرجي زيدان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط2، 2000، ص7

[8] جورج لوكاتش، الرواية التاريخية،ص215

[9] نواف أبو ساري، الرواية التاريخية مولدها وأثرها في الوعي القومي العربي العام -رواد وروايات -دراسة تحليلية تطبيقية نقدية،ص230

[10] جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، ص32، 33 بتصرف

[11] حلمي محمود القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (دراسة تطبيقية)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2005، ط1،كفر الشيخ، مصر، ص347

[12] محمد عبد الله الجعيدي، أعندكم نبأ (استدعاء الأندلس في الأدب الفلسطيني الحديث)دار الهادي للطباعة والنشر ط1، بيروت، لبنان، ص32.

[13]عادل العناز، التمثيل التأويلي للتاريخ في الرواية العربية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، دار الثقافة، ط1، 2019،ص150،149.

[14] محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002،ص122 بتصرف

[15]المرجع نفسه،ص35.

[16]جميل حمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، شبكة الألوكة، ط1،2016،ص 15.

[17] محمد عبد الله الجعيدي، أعندكم نبأ(استدعاء الأندلس في الأدب الفلسطيني الحديث)،ص18

[18] علي الجارم، هاتف من الأندلس، ص137،136

[19]محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة (دراسة)،ص48

[20] حلمي محمود القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (دراسة تطبيقية)،ص73

[21] علي الجارم، رواية هاتف من الأندلس،مطبعة الصحوة، القاهرة، مصر، ط1،2014، ص9، 10

[22]المرجع نفسه، ص 10

[23]المرجع نفسه، ص24،23

[24] حلمي محمود القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (دراسة تطبيقية)،ص59

[25] علي الجارم، هاتف من الأندلس، ص8

[26] هاني نقشبندي، سلام، دار الساقي، بيروت، ط1 ، 2008 ، ص2

[27] ياسين النصير، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، دار نينوى، دمشق، سوريا، 2009،ص 24،23 بتصرف

[28] هاني نقشبندي سلام، ص120،119.

[29] المرجع نفسه، ص 221،220.

[30]المرجع نفسه، ص223.

[31] المرجع نفسه، ص236.

[32] المرجع نفسه، ص222،221.

[33] المرجع نفسه، ص223.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1- علي الجارم، رواية هاتف من الأندلس، مطبعة الصحوة، القاهرة، مصر، ط1، 2014 .

2- هاني نقشبندي، سلام، دار الساقي، بيروت، لبنان ،ط1، 2008.

ثانيا: المراجع:

1-جميل حمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، شبكة الألوكة، ط1، 2016.

2- جورج لوكاتش، الرواية التاريخية ،ترجمة صالح جواد كاظم، دار الطليعة، بيروت، 1978.

3- حلمي محمود القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (دراسة تطبيقية)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2005، ط1، كفر الشيخ، مصر

4سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، الحدود والوجود، الدار العربية الجديدة، الحدود والوجود، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2012.

5-عبد الرحمن العشماوي، وقفة مع جرجي زيدان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط2، 2000 .

6- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.

7- محمد عبد الله الجعيدي، أعندكم نبأ(استدعاء الأندلس في الأدب الفلسطيني الحديث)، دار الهادي للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان

8-نضال الشمالي، الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،إربد الأردن،ط2006،1.

9- نواف أبو ساري، الرواية التاريخية مولدها وأثرها في الوعي القومي العربي العام -رواد وروايات -دراسة تحليلية تطبيقية نقدية دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2004

10-ياسين النصير،الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، دار نينوى، دمشق، سوريا، 2009.